جامعة الجيلالي بونعامة-خميس مليانة-
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم علم الاجتماع

مقياس أنتربولوجيا ثقافية وإجتماعية

السنة الثانية علم اجتماع
السداسي الثاني

إعداد :أ.عجاس سهام

السنة الجامعية:2023/2022

المحاضرة 01

1- تمهيد

"منذ نهاية القرن التاسع عشر صارت عبارة الأنتربولوجيا الثقافيةcultural anthropology تستخدم للدلالة على التعليم المقارن الذي يمكن أن نستنتجه من الإثنولوجيا الوصفية و من الإثنولوجيا بوصفها تجميعا للمعطيات و لتحليلها التوليفي، و هي تهتم بكل الجماعات الإنسانية أيا تكن مميزاتها،

وفي إمكانها أن تجعل موضوع دراستها كل الظواهر الإجتماعية التي تستحق تفسيرا من خلال العوامل الثقافية" (كتوره، 2008 ط1، الصفحات 14-15).

2- بناء المواضيع في الأنتربولوجيا الثقافية:

إننا نبني مواضيع دراستنا عبر محاولة تحديد و تحليل الوقائع الإجتماعية التي تقدم نفسها بوصفها أنواعا طبيعية،ولا حتى كمواضيع تجريبية، وهكذا فنحن غالبا ما نجبر على العمل في وقتين سويا من خلال التمييز،ثم من خلال إدراج التعقيد، و كما يجب علينا أن نصنف جيدا حتى نفكر، وأن نقطع إلى فصول حتى نعرض، فنحن ملزمون دائما بأن نستعيد أو ندخل عبارات شاملة، على أن تفهم هذه التقسيمات كما لو كانت مبادئ صياغة معلومات، بوصفها إعادة ترتيب مفهومية صرفة،من الواضح أن المجالات التي نتطرق إليها هي مجالات تقارب الواقع، ويتم تبادلها بالإتفاق مثل:

أ- **القرابة**: يقول كاتب أمريكي منذ بضعة سنوات كان تحليل القرابة بالنسبة للأنتروبولوجيا كالعري بالنسبة للرسم و للفن،فالقرابة و قواعد الترابط الأمومي كانت في قلب دراسة المجتمعات المحدودة التي كانت أولى أغراض الأتربولوجيا، ففي هذه المجتمعات دون المرور بتحليل القرابة لم نكن نفهم شيئا عن العلاقات الإجتماعية، سواء تعلق الأمر بالعلاقات بين الرجال و النساء، أ, بتشكل المجموعات الإجتماعية، أو بالعلاقات بين المجموعات أو السمن و امتلاك الأراضي و الإرث و تصور الشخصية،و العلاقات مع الأجداد، والتراتبيات الإجتماعية ...الخ،ابتدأ البحث بالقرابة في وسط المجتمعات التي كانت توصف بالبدائية، ثم امتد التحليل ليشمل كل أشكال التنظيم الإجتماعي، بما في ذلك المجتمعات التي تقوم رسميا على خفاء البيروقراطيات المكلفة بإدارة الحياة الإجتماعية وإقتصاد السوق و الجدارة الشخصية.بالفعل تظل العلاقات بين الناس في كل أنحاء العالم و في جزء كبير منه متأثرة ببنى القرابة،أي بروابط النسل و بالعلاقات بين الإخوة و الأخوات، و الزواج ...الخ، (كتوره، 2008 ط1، صفحة 30)، و يشكل نظام القرابة جزءا من تنشئة الأنتربولوجي الأولية،و يكفي أن نذكر بعض الأطاريح مثل النظام الأمومي (أسطورة إثنية وصفية)،زنى المحارم(العالمي بمبدئه الخاص بتصريفه)، المساواة في الجنس(كل الأنظمة تبنى
إنطلاقا من الفرق الجنسي)، نووية القرابة(كل الأنظمة المعروفة تتأسس على بعض العلاقات الأساسية)، التبني (عالمي في أشكال مختلفة)، الطلاق...الخ.

ب- **الإقتصاد و المحيط و علم البيئة**: لا يمكن للإقتصاد الغربي أن يطبق كما هو على المجتمعات القليلة الإنصهر مع إقتصاد السوق، ففي كل مكان لا يكون الإقتصاد فيه قد تحول إلى قطاع قائم بذاته سيصعب علينا الحديث عن حساب تخصيص الوسائل، الأرباح، عن قانون العرض و الطلب، عن البيع و الشراء، عن الإعتماد، عن السعر، عن الأجور،عن الرأسمال...الخ،بعد الإكتشافات و في أنحاء مختلفة في العالم لإحتفالات مذهلة حول تقسيم الثروات والهدر الكبير فيها، فإن صورة "المتوحش"المحصورة بمجرد المحافظة على البقاء قد صارت صورة مشوشة، إذ دشن كل من فرانز بواس (Franz Boas) 1909،و برونيسلاف مالينوفسكي 1922، ومارسيل موس1924، نظرية حول التبادلات و الهبة، ما أتاح تطوير الطريقة التي يتم بها تناول "الإقتصادات البدائية"، ففي فرنسا انطلق الأنتربولوجيون الذين يهتمون بالوقائع الإقتصادية من مقدمات نظرية ماركسية،أو متأثرة بالماركسية،و تقوم هذه المحاولة على الربط من ضمن تحليل شامل بين الإقتصادي و القاربة والسياسي و الإيديولوجي، وإذا كان عدد الكتاب الذين يعلنون إنتسابهم إلى الأنتربولوجيا الإقتصادية قليلا نسبيا، فإن عدد المنشورات حول هذه المسائل قد اتخذ أسياexponentielle، بحيث أنه بعد الأبحاث الرائدة إنصهرت

معظم المجموعات البشرية في الإقتصاد- العالم،على دراسة إنتاج و استهلاك الأمور المعيشية و الثروات .كانت الدراسات الأنتروبولوجية المختصة بالعلاقات بين الإنسان و محيطه أول الأمر دراسة حتمية: إذ ساد الإعتقاد أن مختلف المجتمعات أو الثقافات قد اكتسبت ميزاتها بفضل المحيط حيث تطورت، إن التأقلم الثقافي قد اتبع المنطق نفسه الذي اتبعه التأقلم البيولوجي الداروييني، وبعد أن تكاثرت الإستقصاءات الحقلية إنطلاقا من الطرق التي اعتمدها بواس و مالينوفسكي سرعان ما تبين أن اختلافات التنظيم الإجتماعي و السمات الثقافية لا يمكن أن تفسر إنطلاقا من إلزامات يفرضها المحيط، فثمة مجتمعات تعيش في الوسط نفسه تظهر إختلافات قوية، كما أن ثمة مجتمعات تعيش في محيطات مختلفة تبرز علاقتها بدراسة علوم الشعوب الأهلية في مجالات محددة، و هذه الأبحاث قد وسعت بشكل ملموس حقل ما هو نافع:تصنيفات، براهين،آليات المخيلة، تمثلات

على علاقة بكل مجالات المعرفة، على العموم فإن الأنتربولوجيا المعرفية تعمل بشكل يناقض المسيرة البنيوية، فالبنيوية تنطلق من مجموعة من متنوعة من الإنتاجات الإجتماعية(أنظمة قرابة،أساطير...الخ) لتحيلها شيئا فشيئا إلى بعض البنى الأساسية التي تحدد الأسوار العقلية للفكرة، أما المقاربة المعرفية فتنطلق من آليات عقلية يحركها الفرد ليفكر و ليعمل بطريقة مناسبة بوصفه عنصرا من الجماعة، فهي مدعوة إلى الإهتمام عن قرب بأبحاث علم النفس التجريبي و المنطق و علم الأعصاب،إن مسأل التعلم (الثقافي) في علاقاته بالقدرات المعرفية يسمح بتحديد أو بتحاشي بعض المفاهيم مثل التثاقف أو التكيف مع الحياة الإجتماعية، من الواضح أنه إذا تحقق برنامج الأنتربولوجيا المعرفية، وإذا استطاعت هذه الأخيرة أن تشرح كيفية تثبيت المعتقدات و كيفية عمل الإستدلال و كيف تبنى الذاكرة انطلاقا من تجارب شخصية، حينها سنشهد إقترابا كبيرا من العلوم الطبيعية و العلوم الإجتماعية، إن التعارض بين الطبيعة و بين الثقافة ليس في واقع الأمر أكثر من عملية بناء نظرا لأنه في الإمكان اعتبار الثقافة جزءا من الطبيعة.

المحاضرة 02

ت- **أنتربولوجيا السياسة**:تبدو انتروبولوجيا السياسة أحيانا بمثابة وسيلة لأخذ إجراء بمجمل حقل الأنتربولوجيا بدل أن تكون موضوع درس خاص، لذلك فهي تشغل مكانا خاصا و ذلك بقدر ما كان إختلاف أشكال التنظيم السياسي قد تم إستخدامه معيارا وصفيا من أجل تحديد هوية التشكلات الإجتماعية، فالتأملات و التحليلات في هذا الميدان قد إنحصرت و لوقت طويل في داخل الرغبة في شرح تكون الدولة،إلا أن الدراسات الوصفية التطورية الكبرى التي وضعها كل من هنري سومرماين(1861)،هنري مورغان(1877)،كارل ماركس(1859)،فريديريك أنجلز(1884)،غوردون شيلد(1959)، والتي استعادت رسم تطور أشكال التنظيم الإجتماعي و شريط الدولة البدائي مرورا بالقبيلة و الزعامة، إن كل ذلك لم يسلم من النقد، و لا يمكن أن تعود ولادة سلطة مركزية مستقلة إلى سبب واحد و عالمي:فقد يربط ذلك بالغزو و بالنهب الإقتصادي لطبقة إجتماعية من قبل طبقة أخرى، وبوجود فائض قيمة و برقابة التسلح و بضرورة تنظيم الإنتاج(خاصة أعمال الري الكبرى) و إلى رقابة التجارة...الخ، في العديد من المجتمعات خاصة في الممالك المقدسة و في عبادة الأجداد لا يمكننا أن نتطرق إلى المستوى السياسي دون المرور بدراسة الحديث الدينين و تقليص معنى السياسة و جعله محصورا في ممارسة سلطة الدولة، جعل الأنتربولوجيا أمام بقية ظواهر لا شرح لها،حيث يمكن لبعض المجتمعات أن تكون محكومة دون

أن تمارس أية طبقة مسيطرة سيادة حقيقية، بواسطة حكومة مركزية على وحدة تراتبية محددة جدا، يجب التحفظ من تقليص السياسي إلى فكرة السلطة، فأنتروبولوجيا السياسي تطال أيضا و بخاصة بناء السيادة الشرعية و كيفياتها،حتى و إن كانت بعض المجتمعات ما قبل الإستعمارية قد عرفت أنظمة مركزية جدا تستند إلى الإدارة و الإلزام.

ث- **أنتربولوجيا الدين**:تندرج أنتربولوجيا الدين بوجه العموم تحت تقليد مادي،متحررة من التأويلات اللاهوتية، إلا أنها كانت ولفترة طويلة متأثرة بديانات الكتاب،ومن الصعوبة بمكان، بالنسبة للغربيين، أن يستقلوا عن فكرة الديانة التوحيدية المرتبطة بنص الديانة التي تفترض الإهتداء تجاه تعقد العالم،لن يكون مستغربا و في ظل كل المناخات أن يبحث الناس عن الحقائق المخبأة في ما يتجاوز الإدراك العادي،فقد كونوا فرضيات عن الطاقات التي تقود العالم كما حاولوا جعل اللامرئي مرئيا،لم يكن للمفكريين الغربيين بالطبع أن يحتكروا مفاهيم مثل الطاقة و القوة و الإرادة والروح و الدفع الحيوي و نفحة الحياة...الخ،كما لم يكن لهم إحتكار الميتافيزيقا، لا بمعنى البحث عن الأسباب الكامنة خلف الإدراكات المباشرة، بل بمعنى أكثر إنضباطية من التأمل التوليفي،إن أفضل الدراسات الإثنوغرافية لا ترتبط باهتمامات أصحاب المعلومات المتميزين بمواضيع مثل الآلهة أو الأجداد أو الإيمان،بل بمراقبة الممارسات الفردية و الجماعية و جمع أفعال ترتبط بحياة مفردة في الوقت الذي تعاش فيها،إن النظرية "الأهلية" هي نظرية تؤخذ بالفعل على الدوام،أما البحث عن حالات خاصة فهو بحث دقيق دائما، وهو ما علينا فعله من أجل إعادة تشكيل مجمل العقائد التي تمس مختلف الأطاريح مثل: الشخصية، الوراثة، النسب، السحر...الخ،و الخطر يكون اكبر حين نقفل عبر سيرورة الكتابة نظاما مفتوحا يقتبس منه الفاعلون الإجتماعيون مسائل الساعة،و مفاهيم يصعب التلاعب بها مثل الإيمان و الإعتقاد.

ج- **أنتربولوجيا الإرتجال**: عرفت الأنتربولوجيا مع نهاية السبعينات من القرن الماضي منعطفا جديدا: فقد تم الإنتقال من علم الوقائع و البنى و الأعراف إلى علم السيرورات، فالإثنيات و الثقافات و تمظهراتها العامة الكبيرة تبدو بعد الآن لا كوحدات مقفلة ونهائية، بل كنتاجات تاريخية في صيرورة دائمة، ففي كل طرق فن استخدام الجسد الإنساني، يجنح **مارسيل موس** إلى القول بسيطرة وقائع التربية من خلال مفهوم العادة" الذي استعاره من **أرسطو** و أعاد **بيير بورديو** نمذجته" إلى لفت النظر إلى ما هو مستفاد و يتجسد في الأجساد و الأرواح متخذا شكل الإستعدادات الدائمة،و التي تظهر في الحركات و وضعيات الجسم و الإيماءات، والتعبير عن المشاعر و حركة يد المحترف، وتقنيات الجسد، وإخراج الحياة اليومية بحسب تعبير **إرفنج جوفمان** الجميل، وثمة قسم واسع من الحياة الإجتماعية و السيرورات المعرفية لا يمر إذا عبر اللغة بل يصعب التعبير عنه بطريقة شفوية، والواقعة البسيطة هذه تستدعي اللجوء و بموازاة طرق الإثنوغرافيا إلى التسجيلات السمعية،

المحاضرة 03

3- بروز الأنتربولوجيا في بريطانيا بين 1830-1898:

- ✓ بطبيعة الحال معظم الأكاديميات البريطانية تحت ظل مشابهة، و العدد الصغير من الجامعات التي كانت تقدم خدمات لأبناء الطبقة العليا، والتي كانت مصممة خصيصا لتزويدهم بسنوات قليلة من الثقافة و التعلم قبل إرسالهم إلى العالم العملي،لدرجة أن ذلك المنهاج التربوي في الإنسانيات كان ينظر في موضوعات أبعد من أن تكون موضوعات بريطانية و كان تركيزهم ينحصر في التقليد اليوناني-الروماني.

- ✓ التجارة العالمية و التوسع الإستعماري وكذا دور بريطانيا في الإستكشاف خلال القرن 19م،كلها عوامل قادت إلى نمو بحث علمي و زيادة في الفضول الجماهيري،الأمر الذي تزامن مع تطور كل من الجغرافيا و عالم الحيوان و النبات إلى تقاليد قادرة على تعميم البحث الأكاديمي لمحبي الطبيعة مثل ظهور نظرية النشوء و التطور، أما في الجانب الإنساني،فقد كانت دراسات قليلة وتخص في نوعية الإستشراق مثل دراسة **"إدوارد لين"** « وصف عادات المصريين المحدثين و تقاليدهم»، وما أبدعه المترجم **"مونتستوارت إليفنستون"**في كتابه«وصف لمملكة كابول»، وكل هذه الكتابات أخفقت في توليد منظور يمكن تعميمه بحيث يمكن أن يصبح أنتربولوجيا.
- ✓ عوضا عن ذلك برز الحقل الذي أصبح يعرف بالأنتربولوجيا من رحم إهتمامات نشطاء متحمسين إرتبطوا بحلقة متميزة في محبي الخير و العطاء من جماعة الكويكر«Quiker» المسيحية، والنقاش التالي لظهور الأنتربولوجيا البريطانية يعتمد بشكل كبير على مقالة تفصيلية و تشكل منظور الإنطلاق ألفها**"جورج دبليو ستوكينغ الإبن"** حول أصول المعهد الملكي للأنتروبولوجيا.
- ✓ و لقد قدمت جمعية حماية السكان الأصليين في المنتدى الأول،المناقشات و نشرت التقرير الذي قدم «معلومات أصلية بخصوص شخصية و عادات و رغبات القبائل غير المتحضرة» و هكذا تبلورت و جمعت و نسقت بشكل منظم أول نقطة لنمو المنظور الأنتروبولوجي، و لقد قاد هذا مباشرة إلى التأسيس المنفصل في عام 1844 للجمعية الإثنولوجية في لندن و التي كان لها برنامج بحثي كامل ينشد «البحث عن الصفات المميزة في الشخصية و الشكل الطبيعي و الأخلاق و تنوعات النوع الإنساني لسكان الأرض، والتيقن من أسباب مثل هذه الظواهر».
- ✓ وعلى الرغم من أن العضوية في هذه الجمعية كانت عضوية ذكورية، إلا أن الجمعية أصبحت ساحة مشاكلات و خصومات، و كان يقود أعضاء الجمعية من الجوهريين الأساسيين **"توماس هودكين"**(1866-1798) و**"جيمس كارلز بريتشارد"**(1848-1786) والإثنان من الكويكر، وكانا يريان أن أولوية موقفهما الخلقي و الفلسفي تقوم على وحدة الدم الإنساني الذي يجري في كل النوع الإنساني، وكانا يفسران التنوع البشري بتاثيرات الفروق البيئية،أما **"جيمس هنت**(1869-1833) و هو طبيب إصلاح مشكلات النطق و الكلام،كان أمين سر الجمعية سنة 1860، فتبنى النظرة العنصرية بطاقة وحماسة وضغينة، وفي عام 1863م انفصل بفريقه عن الجمعية ليؤسس "الجمعية الأنتربولوجية الكندية"، ونظرا لأنهم فصلوا و أوضحوا موقفا حول التنوع قبل أن ينشر **"داروين"**كتابه«أصل الأنواع»، فإن علماء الأنتروبولوجيا هؤلاء وجدوا أنفسهم باختصار في موقف مقابل لكل من علماء الأنتروبولوجيا ذوي النزعة الإنسانية و الداروينية الجدد الذي كانوا يرون أصل واحد للأنواع البشرية.
- ✓ أهمية هذا التاريخ الصغير المحدد لا ينبغي أن يقلل من شأنها،فإنه عن طريق الإيديولوجيا الإنسانية لدى المؤسسين لحركة مناوأة الرق و جمعية حماية السكان الأصليين و فرضية وحدة النوع البشري، وهي التي قدمت الأسس لظهور "الأنتروبولوجيا و التفسيرات العرقية أو العنصرية للفروق الثقافية التي كان قد تم التنازل عنها، هذا مع بقاء مبالغات **"جيمس هنت"**تذكر لوقت طويل في المعهد الملكي للأنتربولوجيا.

المحاضرة 04

كانت المساهمات البحثية لهذا الجيل المبكر من الإثنولوجيين غير مهمة، لكن قدمت إيديولوجيتهم أرضية طويلة الأمد للأنتروبولوجيا البريطانية عن طريق نشاط **إدوارد بيرنت تايلور**"(1832-1917) غبن رجل أعمال من الكويكر، وكان من طبقة مؤسسي الجمعية الإثنولوجية اللندنية و إيديولجيتهم نفسيهما،و لأنه كانت لديه أعراض السل عندما كان شابا، منح تايلور راتب تقاعد مسبق من والده أعطاه حرية السفر،و انضم إلى صحبة مجموعة من الهواة والمستنيرين، ولتحسين حالته الصحية سافر لفترة للمكسيك،أين أعجب بثرائها الثقافي و حضارتها المحلية، وعند عودته إلى إنجلترا قرأو تمثل عددا من الحوارات التي كانت تدور في الحياة الفكرية الإنجليزية في وقته، ونش وصفا لرحلاته المكسيكية، وفي عام 1862م بدأ حضور إجتماعات الجمعية الإثنولوجية التي جذبت إليها علماء آثار و أنتروبولوجيين أيضا.

- ✓ استمر تايلور في محاولته لفهم قضايا الحقل العلمي الجديد و مفاهيمه، وأعطاها صياغة متجانسة في كتابه المؤثر« الثقافة البدائية»، وكان من المهم جدا إفتراضه الصريح بـــ"وحدة النفس البشرية"، وهي الفرضية التي شكلت تحولا عظيما في تعدد المعاني لدى الإثنوغرافيين و في الإلتزام الششامل و الإنساني بالمساواة و القيم الخلقية لكل النوع البشري، وأدخلت في الأنتربولوجيا نزعة النسبية(relativism) للحد من سطوة النزعة المركزية الفيكتورية، كما تطورت على يد تايلور فرضية الوحدة النفسية التي كانت المفتاح لإعادة بناء تأملات و التي ربما قادت البشر البدائيين و "المتوحشين" المعاصرين إلى أن يطوروا المعتقدات و الرؤى التي يتبنونها،
- ✓ و بحسب صياغة **أندرو لانغ** ،تمكن تايلور الإبن و تلاميذه من القول إن تقاليد الشعوب الأخرى و عاداتها يمكن ان ترى على أنها نتاج الأسباب نفسها التي جعلتنا على ما نحن عليه،و بمعرفة غير كاملة و تحت ضغط الحاجات كانت مهمة الباحث أن يكتشفها، وكان تايلور يرى قدرة هذا التفكير البشري العام كمحرك بإمكانه أن يولد التغير التدريجي و التقدم العام الذي لاحظه في التاريخ الإنساني، وأخيرا فإن فرضية الوحدة النفسية ربما كانت قد ثبتت في الفكر الأنتروبولوجي توقع إمكانية التواصل الفكري و التفاعل بين الباحثين الأنتربولوجين "المتوحشين"الأمر الذي أصبح لاحقا متحققا علميا في الدراسات الميدانية بالمشاركة.
- ✓ على هذا الأساس الفلسفي،إنتقل تايلور إلى تحديد هدف الأنتربولوجي:الثقافة«لقد إعتبرت الثقافة أو الحضارة في أوسع معنى إثنوغرافي على أنها المركب الكلي الذي يشمل المعرفة و الإعتقاد و الفن و الأخلاق و القانون و العادات و أي قدرات أخرى أو هوايات يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع».
- ✓ و سعى تايلور ليمهد عددا من الإهتمامات المنهجية الواضحة، فالخطوة الأولى في دراسة الحضارة حسبه تتطلب تقسيم الثقافة بحسب عناصر تفصيلاتية، وبعدها تصنيف هذه الأقسام أو الآراء في مجموعاتها الصحيحة الملائمة،و كان هذا إجراء تحليليا من أجل العمل المقارن،و تصور أن المجموعات الصحيحة الملائمة يجب أن تعمل مع الوظائف المستعملة و الضمنية، ويظهر أن منهجيته عملية دائرية على ما يظهر حيث الثقافة التي عرفت على انها مركب من مؤسسات و تقاليد تم تفكيكها مرة اخرى إلى عناصر من مثل تلك العناصر التي شكلت التعريف،و عن طريق تأسيس هذه المجموعات فحسب، كان تايلور يرى أن على الباحث أن يكون قادرا على مقارنة المتشابهات ببعضها،حتى يصبح بإمكانه أن يحدد التنوعات في الأشكال الثقافية، ولجعل هذا الرأي له معنى،يحتاج المرء إلى أن يفهم و بشكل واضح فرية غير مذكورة هي "أن الثقافة التي يحللها المرء في كل حالة خاصة إنما هي عبارة عن مظهر موجود في مكان محدد، وهي تمثل ما قد اكتسبه الإنسان باعتباره عضوا في مجتمع محلي ما، ولقد سهل إنتشار مفردتي ثقافة

ومجتمع في تعريف تايلور لرؤيته التوليفية و التطورية للتاريخ الإنساني لكن باعتبارها نوعا ،ما جعلت طموح تايلور الإثنوغرافي غامضا، وهو القائم على الملتحمات"المشتركات و عوامل الإرتباط" وما تبقى من أشياء في ثقافات محلية خاصة، وهكذا كانت خطوة تايلور المقبلة هي دعوة المحلل أن يبحث عن الملتحمات في مواد كانت قد صنفت بشكل ملائم-و هو إكتشاف إجرائي لوجود إرتبطات إمبريقية بين صفات وراثية متميزة و متلازمة بمعنى أنها تشكل بصورة منتظمة في حدوثها المحلي بين الناس في وقت واحد.

- ✓ اكتشاف الملتحمات أو الإرتباطات كان خطوة من خطوات التحليل استخدم لها تايلور بيانات معلومة،أشهرها في شكل جداول مقارنة تظهر حضور أو غياب مؤسسات أو تقاليد مختلفة عند 350 شعبا مختلفا،و رأى تايلور أنها دليل إما على أولا على وجود قانون عام للعقل الإنساني وارتباطاته، أو ثانيا أنها إرتباطات تاريخية خاصة، وهذان الإطاران التفسيريان البديلان كانا قد بقيا في شكل "اختراع مستقل" و "انتشار" في الدراسات التوزيعية للأنتربولوجيا الثقافية.
- ✓ أخيرا سعى تايلور إلى أن يحقق نظاما في تحليل الثقافة عن طريق مفهومه للصفات الثقافية "الباقية"، كما هو الحال في ثقافة المجموعات التي بقيت على قيد الحياة من الأعراق التي يفترض أنها أقل تطورا و التي يمكن أن تقدم دليلا على الثقافات قبل التاريخية للشعوب البدائية.
- ✓ كان هدف تايلور هو البحث في مصادر المعتقدات الدينية و تطورها، كما رغب في توضيح أن الإعتقاد الديني لم يكن وحيا إلهيا وإنما كان نتاج جهد الناس الخاص لفهم وشرح العالم، و قد طور كذلك مفهوم" النزعة الأرواحية" ليصف الشكل المبكر و الأكثر أساسية للدين.

لقد كان هناك باحثون آخرون، يعملون بمناهج تقديرية مشابهة، قد حاولوا استخدام طرق أخرى، فركز **جون ماكلانان**(1827-1881) وهو محام اسكتلندي على تطور الزواج ،وطور نظرية بروز الطقوس من بقايا تقاليد ما،و في كتابه "الزواج البدائي" مهد عن طريقه إعداد مخطط للتطور من الشيوع أو التساهل الجنسي البدائي و عن طريق زواج المجموعة و تعدد الزوجات إلى الزواج الأحادي وسعى لبناء مسار مرحلي من التفكير المنطقي و الوظيفي لمثل هذا التطور،أما **أندرو لانغ**(1844-1912) فقد كان يبحث في التفسيرات الفلكلورية و الأسطورة بنفس المنهجية و الغرض، و كان أشهرهم السير جيمس جورج فريزر(1854-1941) أمضى حياته و هو يجمع ويصنف كتابه ذا الثلاثة عشر مجلدا الذي يدرس فيه السحر والعين، والمسمى "(J.G.Frazer, 1911 and 1936) الغصن الذهبي"

وكانت أعمال هذه الفترة تعتمد على مصادر مكتوبة، و كانت مساهمات جيل تايلور من علماء الأنتروبولوجيا على الرغم من ذلك ذات اهمية واضحة لتطوير الأنتروبولوجيا كحقل علمي،أولا بدأ هؤلاء الكتاب في توثيق لأول مرة التنوع الرائع للعادات و المؤسسات التي مارستها مجموعات من البشر في القرن 19م،ثانيا:بدأوا تطوير مصطلحات وصفية لبعض أجزاء هذا التنوع مع سك مفردات فنية مثل الأرواحية و الزواج الإغترابي(exoogamy) و النسب الأمومي(matriling) و الطوطمية(totemism) و التابو وهكذا، مقدمين مجموعة من المفاهيم استمر علماء الأنتروبولوجيا في استخدامها و نقدها و توسيعها منذ ذلك الوقت.

المحاضرة 05

من مضايق توريس إلى الأرغونتس:

جاءت أول بداية جادة لضمان نوعية البيانات الأنتربولوجية على يد عالم حيوان **ألفرد كورت هادون**(1855-1940) الذي رحب به من طرف خلفية إجتماعية و تاريخية تشبه خلفيات ممن ذكرنا إلى الآن، وفي محاولة لبذل أعظم إهتمام لحماية إرتباطاته بجامعة كامبريدج و العمل على توسيع شبكة علاقاته،استطاع في النهاية أن يبدأ في مشروع أخذ فيه مجموعة من الباحثين المدربين إلى الميدان في مضايق توريس، وهناك قاموا بدراسات أنتروبولوجيا و علم نفس و علم إجتماع الشعوب«المتوحشة» عن طريق إجراء تحقيق دقيق في مواقعهم.

كانت المجموعة تقوم على الإختيار و الإنتقاء، فلقد أمن **هادون** مشاركة كل من **سيدني راي**، كان مدرب لسانيات موهوب في لندن،و علم النفس إختار **ريفرز** وه طبيب كان قد عين للتو في علم النفس الفيزيولوجي و التجريبي،و كذلك **تشارلز صامويل مايرز**،و **وليام ماكدوغل**، و انضم كعالم أنتربولوجي، وأيضا **تشارلز سيلغمان** وهو مختص في الأمراض الطبية بنجاح.
وصلت البعثة إلى مضايق توريس 1898 و لحسن حظ هادون أنه كان يتذكر بعض الأهالي بنوع من الود في رحلته السابقة، وقامت البعثة بقدر معتبر من التنقل في الجزيرة و عملوا كفريق و بشكل معزول لمدة 04-06 أشهر في الساحل الجنوبي لبابوا، وكذلك تمكنوا من تحقيق بعض البحوث الحجانبية في ساراواك، واكتملت التقارير في 06 أجزاء و نشرت على مدى 10سنوات التالية أو أكثر كانت ذات نتائج عظيمة (A.C.Haddon, 1901 and 1935)،وقد أعتبرت هذه البعثة بحق نقطة تحول في التقليد البريطاني الأنتروبولوجي، وهذا من خلال 04 نقاط:
أولا:تغير أسلوب البحث العلمي نفسه بشكل كبير،حيث كان الباحثون هم يستخلصون المعلومة مباشرة ومن السكان الأصليين الذين أخبروهم عن عاداتهم و تقاليدهم المحلية وعن إعتقادهم و ما إلى ذلك ، وكانت مثل هذه البيانات تستكمل من خلال إنطباعات علماء الأنتربولوجيا المباشرة في عين المكان،مع وجود بعض الوسطاء في تقديم الحقائق و المعلومات التي كان الباحثون يسعون لدراستها،وهذا راجع لعدم تعلم اللغة من طرف أعضاء البعثة.
ثانيا:كانت قد تجمعت هذه الحقائق و ارتبطت بطرق ما بحيث ما عادت تحت سيطرة الباحثين،فقد كانت البيانات متداخلة الإرتباطات بعضها مع بعض بفضل ارتباطها المحلي و عزلتها عن حقائق مشابهة، حيث كان تنقل الأنتروبولوجيون في الجزيرة قد قادهم إلى التمكن من الحصول على كثير من بناء أساليبهم على أرض الجزيرة عن طريق زيادة كمية التوثيق التي قاموا بجمعها، و أصبح غرض البحث الأنتروبولوجي دراسة ثقافات محلية خاصة بدل دراسة الثقافة بشكل عام.
ثالثا:ظهرت بعض السمات المنهجية الجديدة النابعة من رغبة الوصول إلى الشمولية والتفصيلات و استقصاء التغطية، و بالذات فيما يتعلق بالإجراءات التي أصبحت تقريبا ذات قيمة سحرية بوصفها تشكل "منهجية ريفرز الجينالوجية"،و اكتشف العلماء بعد جهد مضن لرسم خريطة العلاقات القرابية الأولية- أم فلان والد فلان ابن فلان- لمجتمع محلي بكامله بحيث يمكن الآن معرفة "شجرة النسب" و ارتباطها بالعديد من الأشياء،مثل المصطلحات القرابية، وكذا معرفة كل أنواع التجمعات و التميزات الإجتماعية على أساس النسب و الهويات الطوطمية و التجمعات المذهبية الدينية...الخ التي يمكن الإحاطة بها.
ورابعا:بروز شخصيتين أساسيتين في سياق الجيل القادم من الأنتروبولوجيين البريطانيين كانوا قد تدربوا و ألهموا عن طريق مغامراتهم مع البعثة هما **ريفرز** و **سيلغمان**،

المحاضرة 06

إنجازات ريفرز و سيلغمان:
و على غرار هادون نفسه الذي كان يعتقد نفسه عالما مدربا في الأنتربولوجيا و هو لم يكن يملك أي مهارات تجعله خبيرا في تحديد هوية أشكال ظواهر، أو القيام بجمع ملاحظات يمكن أن تتراكم بصورة منتظمة في ذلك الحقل،فإنه و في المقابل ريفرز و سيلغمان من الهواة في الأنتروبولوجيا، وكانا يمتلكان بعض التدريب العلمي في حقول علمية أخرى، وما حدث هو أن المجتمعات المحلية القليلة في الجزيرة في مضايق توريس فرضت عليهم التنظيم الجديد للبيانات الأولية و الإنتباه إلى مدى تعقيدات الإرتباطات الداخلية لكل شكل محلي من أشكال الحياة، و لقد تعرض كل منهما إلى تجربة تدريب مكثفة في دراسة أمثال هذه الإعتبارات و لهذا أصبحا إثنوغرافيين من نوع جديد.
وكانت تتم تطورات موازية بالمصادفة في مناطق أخرى،فلقد كان **فرانس بواز** يكتسب من خلال تعرضه الإثنوغرافي المكثف في مجتمع محلي للإسكيمو مهارات مشابهة، و هي عملية تكررت و بشكل أعمق

بين قبيلة الكواكتيل وكان كل من **بوغوراز** و **سترنبرغ** و **جوشلن**،جميعهم من الراديكاليين الروس،منفيين في سيبيريا و لهذا كان لديهم وقت كثير حتى يقوموا بدراساتهم الخاصة بين السكان الأصليين، وغيرهم كثير.

كان كل من **ريفرز** و **سيلغمان** مفتونا بنشوة الإكتشاف الإثنوغرافي و إنتاجيته بعد اشهر قليلة من في مضايق توريس، عاد **ريفرز** مغادرا إلى جنوب الهند،في عام 1901م أين قضى 05 أشهر بين شعب **التودا**، وأتم دراسة مثيرة ودقيقة عن هذا المجتمع المحلي الذي تشبه حياته الحكايات الخرافية، وقد اعتبر كتابه **"التودايون"** و لوقت طويل نموذجا لما يمكن أن تكون عليه الدراسة الأنتربولوجية عندما تعتمد على منهجية جديدة و مكثفة وميدانية.

أما **سيلغمان** فتمكن من جمع مبالغ مالية من راع أمريكي ثري ليعود في 1903 إلى غينيا الجديدة، حيث درس منطقة جغرافية واسعة،و لقد أنتجت دراسته التوثيق المكتشف الذي نجده في كتاب**"ميلانيزو غينيا الجديدة البريطانية"**، و في عام 1907-1908 ذهب هو وزوجته **برندا سيلغمان**، وهي أيضا عالمة أنتربولوجيا إلى سيلان و قاما بدراسة على شعب **الفيديين**،و هم شعب الصيادين و الجماعيين ممن يعيشون في أجزاء من غابات سيلان (B.Z.Seligman, 1911)، واعتمادا على منحة مالية حكومية تمكن آل سيلغمان من تحقيق إنجازات في أراض جديدة في شكل بعثات طويلة إلى السودان وثقوا فيها التنوع الثقافي الغني جدا عند القبائل العربيةو النوبة والنيلية في مناطق واسعة من وسط السودان و جنوبه.

في هذا الأثناء عاد **ريفرز** إلى ميلانيزيا عام 1908،و عاد مرة اخرى عام 1914 مصحوبا في المرتين ب**جرالد ويلر** و **آرثر هوكارت** و هناك مارس أكثر أعماله الإثنوغرافية "كثافة" و أمضى شهورا مع **هوكارت** في جزيرة إيدستون،غرب جزر سليمان،

بهذه الطريقة قرر كل من **ريفرز** و **سيلغمان** أن يذهبا بعيدا عن القيام بدراسات محلية مكثفة محدودة جادة، وانتقلا إلى دراسة إقليمية المدى في بحوثهم الإمبيرقية،

المحاضرة 07

إهتمامات ريفرز و أهم السلبيات الموجهة إليه:

و هنا نحتاج إلى أن نعطي اهتماما اكبر للأدوار المختلفة التي قام بها ريفرز،و ربما كان أعظم تأثير باق له على التقليد البريطاني كان ناتجا عن عمله المفاهيمي المضني لدراسة التنظيم الإجتماعي، فلوصف النتائج التي حصل عليها في ميلانيزيا كان عليه أن يطور نظاما و دقة في تحديد المصطلحات الوصفية المطلوبة في دراسات القرابة ووصف الجماعات الإجتماعية، كاشف عن الصفات المنظمة لمصطلحات القرابة المختلفة و تقديم أفكار على النسب وأشكال الزواج، وتبادلات الزواج بين المجموعات وما إلى ذلك، وهذا العمل التحليلي هو ما سمي بـــالبناء الإجتماعي، الذي كان الأساس لما سيتبع من بحوث أجيال عديدة من علماء الأنتربولوجيا البريطانية،و كانت طبعة 1912م من كتاب "ملاحظات و تساؤلات" قد وسعت الخطوط الرئيسة للقيام بدراسات منهجية"مكثفة"و" محددة محسوسة" وحددت "طريقته الجنيالوجية"و معايير الدقة و التفصيلات المطلوبة الآن في البيانات الميدانية، وأبقى كذلك على إرتباطه العميق بعلم النفس .

لكن مع الأسف سمح **ريفرز** بأن يصرف اهتمامه على ما انتهى إلى أن يكون مجرد تحول موجز و غير مثمر في الأنتروبولوجيا البريطانية"الإنتشارية"أو وجهة النظر القائلة بأن القضايا الأساسية في الإثنوغرافيا كانت متجسدة في مهمة إعادة تركيب تاريخ عولمي لثقافة الهجرات البشرية و الإقتباسات الثقافية، ففي خلال أعظم سنوات نشاطه الميداني،استمر في التفكير في إطار تقليد الأنتربولوجيا التطويرية الذي أرساه تايلور، و لكن هذا الإطار لم يتغلغل في اعماله و أفكاره العميقة، فلقد كانت إهتماماته الواقعية مركزة اكثر على الدقة و الحيطة التي بإمكانه أن يصف بها المواد المحسوسة التي تدور حول التنظيم الإجتماعي و الثقافة،و كان **ريفرز** قد أصبح على دراية بكتابات **فريتس غرانبر** و آخرين من المدرسة الألمانية الإنتشارية و نماذجهم النظرية للبيانات الإنتشارية، وأخيرا كصديق و زميل لـغرافتون إليوت سميث،كان ريفرز قد إنجذب إلى التأملات المقارنة للأشباه بين صفات ثقافية معينة في منطقة المحيط و في مصر القديمة، وبشكل مثير جدا كانت النتائج التي توصل إليها ريفرز هي أن بعض سكان جزر توريس مارسوا التحنيط، و كانت نتيجة ما توصل إليه ريفرز عام 1911 تحوله للنظرية الإنتشارية.

المنظور الإنتشاري:
المنظور الإنتشاري كما تم تبنيه في إنجلترا كان قد إرتبط بسلسلة تقول إن مصر كانت نبع الحضارة الإنسانية، وهي وجهة نظر فصل فيها **غرافتون إليوت سميث**(1871-1937) و **وليم جيمس بيري**(1889-1949) في أطروحتهما العظيمة"الهليوليتية" وما كانت هذه أفكار جديدة لكنها كانت تتمتع بنزعة إحيائية و رومانسية قوية في بعض الدوائر الأكاديمية البريطانية.
يظهر أنه لا يوجد ما يمكن أن لا يكون منطقيا مقبولا وبشكل جوهري في مفهوم أن الثقافات و الأفكار الدينية و الثقافية الخرى قد إنتقلت وانتشرت بين الشعوب عبر التاريخ أو أن الهجرات البشرية كانت قد حملت مثل هذه المواد معها أثناء "الحركات السكانية الكثيفة" إلى مناطق قليلة السكان، والإنتقال بين هذه المناطق، وكان هناك رأي دوغمائي تطوري يقول بأن نفس المبتدعات ونفس المؤسسات كان يعاد إختراعها بشكل مستمر و مستقل في مناطق محلية مختلفة بسبب وحدة النفس البشرية للكائن البشري،لكن كان هناك **معضلتان كبيرتان** أمام الحماسة الإنتشارية، فمن ناحية شجعت هذه الحماسة الإنتشارية على سورة تخمين غير قابل للإستمرارية في كل خصوصياته، إذ لا يوجد برهان يمكن تصوره أو البرهنة عليه في أي من إدعاءاته المحددة،فالفترات التاريخية لوجود إحتكاكات أو مؤثرات فعلية يمكن ان تكون قد وقعت، ولا يوجد دليل ملموس عليها، بينما من الناحية الأخرى حتى الدليل المادي و الطبيعي لوجود زيارات من طرف غرباء قدموا من مسافات بعيدة لا يبرهن على شيء بخصوص التبعات الثقافية الدائمة التي انتجتها بين الشعوب التي جربت مثل هذا الإحتكاك،
و التفسيرات التي تقدمها نظرية الإنتشار كانت ببساطة عبارة عن إعادة صياغة لتشابهات ظاهرية لوحظت بين عناصر سجلات تحول إثنوغرافي معلوم في إدعاء وجود بعض الإرتباط، وبشكل عاقل كانت مجموعة جيل الأنتروبولوجيون التالي الذي كان يقوده **راد كليف براون**،أسقطت ببساطة التأملات الإنتشارية على أساس أنها عبارة عن تاريخ حدسي لا يدخل بشكل جاد في جدل حول خصوصيات ادعاءاتهم.

المحاضرة 08

ومن ناحية أخرى، أصبحت فكرة وجود مصادر تاريخية للحوافز والهجرة جاهزة كليا للتورط مع بعض إدعاءات عنصرية تدور حول عبقرية بعض الشعوب و تخلف شعوب أخرى بسبب تركيبتهم و قدراتهم البيولوجية، عن طريق إفتراض تايلور لوحدة النفس البشرية كانت لا تزال قائمة، والفضل لكل من شعورهم الإنساني العظيم و السخافة الجلية القائمة في العديد من تأكيدات الإنتشاريين.
في سياق فوضى النظريات و التطورات المنهجية هذه،كان عمل **مالينوفسكي** المتميز جدا في جزر تروبرياندtrobriands يقدم نموذجا لنوعية جديدة من البحث الميداني، كان **ريفز** بطله، والذي أصبح يشكل المبدأ المؤسس المشترك لمنهجية الأجيال التالية من الأنتروبولوجيين البريطانيين، و قد اعتمد مالينوفسكي بشكل كبير على مهاراته الشخصية، وقام بالصياغة وشكل الريادة و بنوعية الداعية الذي بشر بنوعية البيانات الإثنوغرافية الجديدة وهذا مانجده في كتابه "أرغونوتس المحيط الهادي الغربي"حيث كانت صفحاته تجمع الدروس المستقاة من بعثة مضايق توريس في عدة نقاط:التأكيد على أولوية السياق المحلي و على ضرورة دقة كمال التسجيل الذي ينبغي السعي فيه للحصول على جوانب الحياة المحلية كافة، كذلك البدء بممارسة المنهجية الجنيالوجية مع تبعاتها في تحديد بيانات معينة بخصوص العلاقات الإجتماعية،حيث وسع نفس نظام التفصيل في الطلب العام «لتوثيق إحصائي للدليل الميداني المحسوس»،إضافة إلى البيانات الأولية المهمة جدانجد مالينوفسكي يصف التحولات التي سببتها مثل هذه المعرفة في نفسه و في ميوله الخاصة، فالعيش هناك في القرية كان قد وجده في البداية فيه ما يمكنه أن ينظر إلى الأمام لحوادث مهمة و لأعياد يصبح مهتما شخصيا بما يدور في القرية من أخبار و شائعات و ما إلى ذلك، فالمساهمة بهذا المعنى و ان كانت قاصرة على الرقص مع أصحاب القرية إلا أنها كانت

تعتمد على أخذ اهتمام شخصي و أصيل بـــ«أحاديث قد تكون تافهة و أحيانا قد تكون دراماتيكية لكنها دائما مهمة».
وقد كان لدى مالينوفسكي قدرة خاصة في تعلم اللغات و امتلاكه لقدر كبير من البصيرة،إضافة إلى خياله و أسلوبه اللذان ربما أثارا رغبته في أن يفتعل ضروريات المشاركة بالملاحظة، و لكن وبشكل أكثر كانت تعكس إدراكه لطبيعة نشاطاته الميدانية والحساسية التي كان يتابع بها عمله، حيث اختار نشر"اعترافات بالجهل و الإخفاق" كملحق لكتابه «الحدائق المرجانية»، و غالبا ما قدم مالينوفسكي أوصافا واضحة وتأملية لحضوره الخاص و نشاطاته خلال قيامه بالعمل الميداني في نصوصه خصوصا ما كتبه عن تروبرياند، ولقد أظهر كتابه حساسية « سعة التنوع» عاكسا التوتر بين الفردية الإنسانية و العوائق الثقافية في أثناء القيام بالعمل الميداني،ولقد نشرت بعد و فاته يومياته تحت عنوان A Diary in the strict sense of the term «يوميات بالمعنى الصارم للكلمة» حيث سجل فيها و بشكل تفصيلي و يومي كيف أمضى وقته بل غالبا كيف أضاع وقته،
ووصف مالينوفسكي في عام 1922 للبعثات الإستكشافية التي ذهبت إلى التروبرياند غير و للأبد الأنتربولوجيا البريطانية،حيث تطلب أسلوبه الميداني مهارات عديدة وكان هناك القليل من الأنتروبولوجيين ممن كانوا يمثلونها كليا، وبالتأكيد ما كان يستطيع أحد أن يمارسها بمهارته و قدرته و بخاصة أن بعضهم كان أكثر حياء و بعضهم كان أكثر تواضعا، وكان بعضهم فقيرا و بطيئا في تعلم اللغات و قلة منهم كان بإمكانه مساواته في عبقريته و سرعة بديهته و فهمه السريع،فالملاحظة بالمشاركة كانت تعني فحسب المساهمة بالأساليب التي كان الباحث قادرا عليها، أو بحسب كلمات مالينوفسكي "هو عبارة عن جهد لفهم وجهة نظر الأهالي الأصليين و لفهم علاقتها بحياتهم و لإدراك رؤيتهم لعالمهم".

المحاضرة 09

مالينوفسكي و راد كليف براون:
حدث التحول العظيم في البراديغم(paradigm) النظري في التقليد البريطاني في عام 1922 مباشرة مع نشر كتاب **برونيسلاف مالينوفسكي** «أرغونوتس غرب المحيط الهادئ» ،ونشر **ألفرد ريجنالد راد كليف براون** كتاب« سكان جزر الأندمان»،فهذان الكتابات شكلا و مؤلفاهما طلاب الجيل التالي و سلما الفرضيات القادرة على البقاء لقيام الأنتروبولوجيا البريطانية،و اقتضى مكانهما المشترك ترك البحث و تجاوزه عن الأصول كتفسيرات تاريخية و استبدالها بمتطلبات جديدة ترى أن **التحليل الإثنوغرافي للبيانات يمكن إنجازه عن طريق الإستغراق في دراسة تفصيلات تصرفات السكان الأصليين التي تتكشف في اللحظة المعاصرة**، أي أنا تتطلب أن يقوم الباحث الأنتروبولوجي بالبحث عن فهم موضوع دراسته و شرحه داخل إطاره بنفسه، وهكذا فإن التوجه الجديد كان يشكل قطعة راديكالية عما كان يشكله التقليد البريطاني عند **إدوارد بيرنت تايلور**.

- ✓ لقد طور مالينوفسكي (1884-1942)تحليله عن إطار "المدرسة الوظيفية" التي فهمت بشكل عريض على أساس مفهوم:أن كل أجزاء الثقافة المحلية تقوم بأدوار في كل الأطراف الأخرى فيها،و أن كل ثقافة محلية تشكل آلية متداخلة و مركبة،حيث أن الإنسان باعتباره كائنا حيا،قادرا على التكيف مع بيئته الطبيعية الخارجية و بيئته الجماعية،و هذه الفرضيات تمثل اكتشافا يؤكد أن كل التفصيلات الثقافية التي قد ترى للوهلة الأولى على أنها إعتباطية و لا معنى لها، هي بالفعل تحمل معنى في ما يخص كل الممارسات الأخرى للسكان المحليين و كطريقة لبقاء السكان على قيد الحياة في بيئتهم المحلية.
- ✓ وقد مالينوفسكي سلسلة من البحوث الحيوية كتبت على مدى الأعوام 13 التالية،اختار لكل منها دراسة مؤسسة خاصة رئيسة واحدة كنقطة تركيز.

- ✓ أما راد كليف براون(1881-1935)،وجد و بشكل مشابه في مفهوم وظيفة الوسيلة التي عن طريقها يتم تحويل تأطير التحليل الأنتروبولوجي من أسئلة عن الأصل و التاريخ إلى سؤال عن البنية و عن الإرتباط المتداخل، لكن كانت رؤيته المنظمة مرتبطة بمفهومه للمجتمع و اهتمامه و أسلوبه الفكري لدفع التحليل لمستوى عال من التجريد أكثر مما قام به مالينوفسكي، وكان الطريق النظري الذي اتبعه راد كليف براون نحو رؤيته طويلا- أو ربما أكثر توثيقا و قد دقق بشكل أكثر وضوحا- مما فعل مالينوفسكي.
- ✓ تمت دراسة راد كليف براون الميدانية في جزر الأندمان في الفترة1906-1908 أي 10سنوات قبل دراسة مالينوفسكي الميدانية في جزر **تروبرياند**، لقد اختار جزر **الأندمان** كموقع لدراسته الميدانية على أساس معايير تطورية لأنه كان يظن أن مجتمع أهل هذه الجزر كان يمثل المستوى الأكثر بدائية و أولية للحياة الإنسانية،و بسبب قصر قامة سكانها،إضافة إلى أنهم كانو "سودا و ضامرين"«Negritos» لهذا اعتبروا على أنهم ينتمون لأقدم طبقة من الإنسانية، و كانوا يمارسون نوعا من اقتصاد الصيد و الجمع في غابات إستوائية كثيفة و عاشوا في عصابات صغيرة و لهذا كانوا أكثر تواضعا و أقل استعدادا في إبداعاتهم من جزر التروبرياند، ولقد أقيمت مستوطنة هندية بريطانية صغيرة في جزيرة إندمانا الكبرى منذ بداية العام 1789،لكن تم هجرها مباشرة ،ليعاد تأسيسها لاحقا كمستعمرة عقابية 1858،وكانت هناك قبيلة واحدة صغيرة تميزت بالعدائية- وكان هؤلاء هم الأقرب إلى المستوطنة و وقعوا في احتكاك معها وكانت حياتهم و تقاليدهم قد ساءت كثيرا منذ وصول راد كليف براون،و التي كانت جزءا مهما من دراسته، وكانت معظم البيانات التي جمعها عن طريق مترجمين من المتحدثين بالهندية، و كانت تقنياته الميدانية هي التقنيات نفسها التي اتبعتها بعثة مضيق توريس،و كانت تعكس تأملاته في ضوء الأدبيات الآخذة في الزيادة حول التنظيم الإجتماعي و الطوطمية و الزواج الإغترابي في أستراليا،حيث قدم هذا الإعداد الكامل لجهده في بحوثه الميدانية التالية،و كان مشغولا بالإندماج والتعاون الداخلي في ما بين أعداد أفراد البعثة بسبب قلة عطائها الإثنوغرافي الصافي، وكانت مقالة «ثلاث قبائل في أستراليا»قد قدمت المفتاح لكل بحوثه التالية حول التنظيم الإجتماعي في أستراليا، والتي توجت في بحثه الرائع«التنظيم الإجتماعي للقبائل الأسترالية»وهنا كان بإمكانه تقديم وعده:تقديم تحليل واضح و منظم و مقارن لواحد من الطبقات الطوبولوجية للمجتمعات، وكان كتاب «سكان جزر الأندمان» و إن نشر 10سنوات قد قدم تحليله الخارق حول التنظيم الإجتماعي الأسترالي،كما يحتوي بوضوح على مواد كانت قد صيغت مفاهيميا و كتبت قبل أن يكتسب تلك الرؤى و البصيرة،احتوت الدراسة في الفصلين 05 و 06 على تقرير عن القضايا الجديدة التي ظهرت فجأة عندما يتبنى المرء منظورا سوسيولوجيا،فطبيعة العلاقة هي بين العواطف المحمولة فرديا والفصل الإجتماعي الجمعي،و لخص في هذين الفصلين الإجراء الذي عن طريقه حاولالأنتروبولوجيون تحديدهوية معنى العادات و دور الطقوس في تأسيس العواطف الجماعية و كيفية إنتقالها عبر الأجيال، وكذلك المؤسسات الأهلية عندما تقوم بوظائفها، تعيد إنتاج المجتمع ككل،كما استطاع أن يؤسس للإفتراضات التي قامت عليها بحوث الجيل التالي من الأنتروبولوجيين البريطانيين من خلال سلسلة من المقالات الشهيرة«البنية و الوظيفة في المجتمع البدائي».

المحاضرة 10

- ✓ كان مفهوم مالينوفسكي للوظيفة مرتبطا أكثر بشكل مباشر بفكرة الضروريات الإنسانية، وهذا قيد عمله النظري بطريقة أقل تجريدا مما فعل رادكليف براون،و كانت كتبه تقرأ على نطاق واسع لوجود عناوين من أمثال«الجنس و الكبت في المجتمع المتوحش»و «الحياة الجنسية للمتوحشين في شمال غرب ميلانيزيا»، وكانت وجهة نظره أن المقاربة المفيدة لدراسات القرابة كانت تشمل ملاحظات حول العلاقات العاطفية و الإقتصادية الأولية بين أفراد الأسرة،وكان يرى أن المصطلحات القرابية الواسعة إنما جاءت عن طريق إمتداد مصطلحات حول مجموعة جوهرية لأقارب كان معهم الطفل في احتكاك ومع النوعية المجربة في تلك العلاقات، ومن ناحية أخرى ما كان له صبر في ما اختار تسميته «حساب الجبر القرابي»، وكان له منصب في مدرسة لندن للإقتتصاد سنة 1924م.
- ✓ و بينما وجد مالينوفسكي موضع قدم في لندن، ترك رادكليف براون كليا خارج المعادلة، ولقد دفع به هذا أن يقبل تقلد كراسي علمية في مدينة الكاب(1920-1925) وسيدني(1925-1931) وشيكاغو(1937-1961) قبل عودته إلى إنجلترا وتحديدا إلى أكسفورد 1937،
- ✓ قام رادكليف براون بدور رائد في حقل السياسة الأوسع،فلقد كان معروفا بوصفه فوضويا في أيام دراسته الجامعية و ذلك لحماسه لـــــ**بيتر كروبوتكن** و لوجهات نظره الراديكالية و المعادية للإستعمار و التي أبعدته عن جنوب إفريقيا وأدت إلى صراعاته مع المؤسسة الرسمية في أستراليا، وهو ما دفع إلى إنتقاله إلى شيكاغو عام 1931م،و كانت محاضراته حول« العلم الطبيعي للمجتمع»،طموحة و حافظت على المكانة التي احتلتها في البنية الإجتماعية القائمة في ذلك الوقت و كانت علامة على نفوره المتزايد من التوجه الثقافي و النفسي الأكثر وضوحا في وظيفة مالينوفسكي،
- ✓ و كان مالينوفسكي في دروسه مشهورا بمطالبته توضيح الإشكالية و هو مفهوم يضم كلا من السؤال المطروح و الطريقة التي أطر فيها، وكان ضرورة عملية لمصلحة الأنتروبولوجيا الوظيفية المزدهرة،في ضوء عدائية الجامعات المشهورة في إنجلترا، وكان هناك عدد لا بأس به من المنح البحثية التي قدمتها **مؤسسة روكفلر** التي كانت تمنح للدراسات الميدانية و كانت تعطى خصيصا لتلاميذ مالينوفسكي المختصين في الدراسات الإفريقية و لطلاب رادكليف براون الدارسين لجزر المحيط الهادئ معا.
- ✓ كنت الفروق بين هاتين الشخصيتين عميقة و دائمة تتراوح بين فروق في الشخصية عبر أسلوب علمي أساسي،إلى خصوصيات في مفهومها للوظيفة و النظرية الأنتروبولوجية التي تكمن في أساسها،فبينما عمل رادكليف براون بشكل ضيق و منتظم في بناء حقل علمي يملك مفاهيم متجانسة متناغمة و منهجية و بيانات،بقي مالينوفسكي يعمل في تدفق نبضات حقل بيني دائم التغير،مستجيبا لقضايا العالم و الحياة الفكرية الحضرية المنفتحة و في حوار مستمر مع تلاميذه، حيث كتب **فيرث** في تأبينه1942 «كان تأثير مالينوفسكي في تلاميذه يكمن في خليط من صفات عديدة:قدرته الدقيقة على التحليل، وإخلاصه في مواجهة المشكلات، وإحساسه بالواقع وامتلاكه العلمي للتراث و أدبياته، وقدرته على دمج التفصيلات في شكل أفكار عامة، ونبوغه و سرعة بديهته في معالجة النقاشات، وأيضا بسبب أمر آخر و هو تفسيره الليبرالي لدور الأستاذ، إضافة إلى قدرته على إقامة الصداقة و التعاطف و التي تذهب إلى أبعد من العلاقة بين أستاذ و تلميذ و قد ساعد ذلك على تقوية جاذبيته»، وعند مقارنة هذا بتقريض **ماير فورتس** لـــرادكليف براون و الذي ظهر في مقدمته لمجموعة دراسات قدمت له في عام 1949،عندما كانت قيادته في قمتها:«

ليس لأي مفكر حي تأثير قاطع على تطور الأنتروبولوجيا الإجتماعية كتأثير رادكليف براون، فلقد كان كأستاذ من دون منافس وكتاباته أعدت من الأعمال الكلاسيكية في الأنتروبوجيا، ولا يعود تأثيره فحسب بسبب السعة الجغرافية التي غطتها أعماله كأستاذ و باحث ميداني، ولكن أيضا بسبب الموهبة التي يملكها في جعل تلاميذه يشعرون بأهمية الإكتشاف الجديد و في الرغبة في الإستمرار بالقيام بالمزيد من البحث العلمي»(M.Fortes, 1949)

- ✓ لم يضيع رادكليف براون أي وقت عندما أصبح مديرا للتقليد البريطاني ، فقد كانت مهمته المباشرة إحداث نقلة في المفاهيم الحاكمة من ثقافة إلى بنية إجتماعية،«نحن لا نلاحظ "ثقافة" طالما أن المصطلح يدل ليس على واقع محدد فحسب، ولكن تدل على تجريد و استخدمت بشكل عام كتجريد غامض...وما كان يحدث في حنوب إفريقيا ليس تفاعل للثقافة البريطانية و ثقافة الأفريكانز و ثقافة الهاتونوت و ثقافات متنوعة من ثقافات البانتو و ثقافة هندية، ولكن تفاعل الأفراد و المجموعات داخل إطار بنية اجتماعية قائمة في إطار عملية تغير، و ما يحدث داخل قبيلة الترانكانيان،على سبيل المثال يمكن وصفه فحسب عن طريق الإعتراف بأن القبيلة قد دمجت في نظام بنائي سياسي و اجتماعي»،و بإمكاننا أن نعترف أن هذه الجملة تحتوي على عدد من التحديات و العقبات أصبحت الأنتروبولجيا البريطانية،وببطء على دراية بها و لحد ما كانت عاجزة عن أن تجد لها حلولا ملائمة، وأن مخطط رادكليف براون المفاهيمي ماكان حرا من اعتبار المجرد محسوسا(free of some reification) الخاص به، فربما كان عاجزا عن الإجابة عنها،لكن مع ذلك فإن البرنامج الذي تصوره كان جذريا بشكل واضح و جديد، ويؤكد التحول من الحديث عن الثقافة إلى الحديث عن أولوية البنية الإجتماعية، و قد كانت عملية إعادة تشكيل الأنتروبولوجيا الوظيفية تعد خطوة حيوية و مؤثرة في برنامجه،لتكون نوعا من علم اجتماع نسقي قدمت في مجلد«الأنظمة الإفريقية السياسية»،و كان رسالة علمية مقارنة في "السياسة" مفصلة بنية عدد من الأشكال الإثنوغرافية و قد أسست نوعين أولين:هما بنية دولة مركزية و بنية سياسية للادولة،في حين أخفق ماليونفسكي في تقديم وصف للنظام السياسي في تروبرياند، وما قام قط فعلا بالمعنى الحرفي بعقد مقارنات.